DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

**Scientific Events Gate**
Innovations Journal of Humanities and Social Studies
**IJHSS**
**https://eventsgate.org/ijhss**
**e-ISSN: 2976-3312**

# دور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري.

## مفسرو القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين أنموذجًا.

**د. إسراء عبد الغني عبد المجيد سندي**

**قسم القراءات-جامعة الطائف-كلية الشريعة والأنظمة**

**esraa.s@tu.edu.sa**

**الملخص:** تسعى هذه الدراسة إلى بيان معنى التفسير والأمن الفكري وأهميتهما، وبيان العلاقة بينهما، مع إبراز دور المفسرين في ترسيخ دعائم الفكر السليم وفق تفسير آيات القرآن الكريم، وتتمثّل إشكالية البحث في السؤال عن مدى تأثير التفسير في الاستقامة أو الانحراف الفكري، وعن إسهامات المفسرين في بناء الوعي الفكري السليم لدى أفراد المجتمع، ويعتمد البحث على المنهج الوصفي والاستنباطي والاستقرائي، ويهدف إلى إبراز العلاقة بين التفسير وتحقيق الأمن الفكري، مع التركيز على جهود مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين في هذا المجال، وقد خلص البحث إلى: إنّ التفسير الصحيح يسهم في توعية المجتمعات فكريًا، ويحيطها بسياجٍ من الحصانة الفكرية، وإنّ المفسر بمثابة جنديٍّ يحمي فكر المجتمع من الانحرافات والأفكار المتطرفة، كما يوصي البحث بضرورة تفعيل دور المفسرين عبر وسائل التواصل الاجتماعي المرئية والمسموعة والمقروءة؛ لتحقيق الأمن الفكري المجتمعي وفق ما جاء في آيات القرآن الكريم.

**الكلمات المفتاحية: المفسرون، الأمن، الفكر، المجتمع، الانحراف.**

# Qur’anic Commentators’ Role in Ensuring Ideological Security

## A case study of fourteenth- and fifteenth-century commentators

**Dr. Esraa Abdulghani Abdulmajeed Sindi**

**Department of Qira’aat (the science of Qur’anic readings)- Taif University**

**esraa.s@tu.edu.sa**

**Received 22|10|2025 - Accepted 30|11|2025 Available online 15|01|2026**

**Abstract**: Ideological security plays a significant role in the society’s advancement and the civilization’s prosperity. Indeed, Qur’anic commentators have their own considerable influence on ensuring ideological security through their interpretations of the Qur’anic verses. Therefore, this paper highlights the meaning of Qur’anic interpretation and ideological security and how they relate to each other. It also stresses the role of Qur’anic commentators in consolidating and protecting societies from ideological deviation in accordance with the Qur’anic verses. To be precise, the issues that have been addressed concern how effective the Qur’anic interpretation is at establishing a righteous society and whether the commentators

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

have any contributions to that. Building on this, the paper adopts descriptive, deductive, and inductive methodologies to highlight the relationship between Qur'anic interpretation and ideological security and to examine how commentators of the 14th and 15th centuries contributed to reinforcing it. The findings suggest that correct Qur'anic interpretation has a major influence on promoting people's awareness about their ideology and that Qur'anic commentators preserve the soundness of thoughts and protect the society from deviation and radical ideology. Based on that, the research advises enhancing the Qur'anic commentators' role in achieving ideological security in light of the Qur'anic guidance through various media channels: visual, auditory and written.

**Keywords: commentators, security, thought, society, deviation.**

**مقدمة:**

الحمد لله منزّل القرآن رحمة وهداية للعالمين، وصلاة وسلامًا على النبيّ الأمين، محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد: انطلاقًا من الإيمان بأهميّة تفسير القرآن الكريم في بناء الفرد والمجتمع، وإسهامه في ازدهار الحضارة الإسلامية ورقيّها، وإبرازًا لدور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري للمجتمع بما يملكونه من فهمٍ عميقٍ لآيات القرآن الكريم، وما يترتب على القراءة في تفاسيرهم من آثار فكريّة وسلوكيّة في المجتمع الإسلامي، جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على الأثر الذي يتركه المفسرون في عقول النّاس، وإبراز الحاجة إلى تحقيق الأمن الفكري بوجود مرجعيّة علميّة رصينة وصحيحة، تتمثل في علماء التفسير في المقام الأوّل الذين يوجهون المصيب، ويقوّمون المخطئ، ويردّون على الشبهات والانحرافات وفق ما جاء في تفسير آيات القرآن الكريم .ويعدُّ هذا البحث مندرجًا تحت لونٍ من ألوان التفسير؛ وهو التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لتعلّقه بموضوع الأمن الفكريّ عند مفسريّ كتاب الله عزّ وجلّ.

**ويعتمد البحث على ثلاثة مناهج متغايرة:** المنهج الوصفي في بيان مصطلحات موضوع البحث، والمنهج الاستنباطي في معرفة العلاقة بين تفسير القرآن الكريم والأمن الفكري، ومعرفة مدى تحقيق المفسرين لدورهم في هذا الجانب، وأخيرا المنهج الاستقرائي وذلك من أجل تتبع بعض أقوال مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين الموجهة للعقول نحو المنهج الصحيح على مستوى الأمن الفكري.

**مشكلة البحث:** تظهر في ظلّ تزايد التحديات الفكرية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، ومحاولة حمايتها من الانحرافات الفكرية المتنوعة، مع إغفال الكثيرين للدور العميق الذي يؤديه المفسرون في غرس الاستقامة وتصحيح الانحراف الفكري، وسعيهم لتحقيق الوعي الفكري من خلال بيان المعاني القرآنية وتفسير آيات القرآن الكريم.

**كما وتتمثل فرضيات البحث في** معرفة عمق العلاقة بين التفسير والأمن الفكري، وأثر التفسير في تحقيق الأمن في عقول الأفراد والمجتمعات، مع النظر في كتب التفسير في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وإدراك مدى تحقيقها لذلك الأمر.

**وأما عن أهدافه:** فإنّ البحث يهدف إلى بيان مفهوم التفسير والأمن الفكري، وإبراز أهميتهما وارتباطهما ببعضهما، وتوضيح دور المفسرين في غرس التفكير الصحيح السليم، ونبذ التفكير الخاطئ من عقول أفراد المجتمع.

**وتكمن أهمية هذا البحث في بيان** حاجة الأمة لتحقيق الأمن الفكري لأفراد المجتمع، وإبراز أثر التفسير الصحيح في ذلك باعدّه طريقًا شرعيًا لتعزيز الاستقرار الفكري ونبذ الفوضى والانحراف، مع التنبيه على مسؤولية المفسرين في توظيف التفسير في خدمة الأمن الفكري، من خلال نشر التفاسير الصحيحة وتوطيد العلاقات بين العلوم الشرعية والحاجات الفكرية في الواقع المعاصر، وتذكير المفسرين المعاصرين بأنهم على ثغرة عظيمة في بناء المجتمعات والحفاظ على أمنها الفكريّ.

**حدود البحث:** يتناول هذا البحث العلاقة بين تفسير القرآن الكريم وتحقيق الفكر الآمن للمجتمعات، وبيان دور المفسرين في تحقيق ذلك، مع ذكر أمثلة على ذلك من بعض كتب التفسير في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين.

**وبالنظر إلى الدراسات السابقة في الموضوع المشار إليه سابقا، فإنّ** منها ما تناول موضوع الأمن الفكري وتعلّقه بالشريعة الإسلاميّة عمومًا، أو تناول الأمن الفكريّ وعناصره، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- دراسة نور(Nūr, 2006) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، وتهدف إلى بيان مفهوم الأمن الفكريّ من منظور الشريعة الإسلامية، وبيان علاقته بالتربية الإسلامية، ووسائل تعزيزه تربويًا، وبيان دور المؤسسات التربويّة في تحقيقه.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

- دراسة الهذلي (Al-Hudhailī, 2011) مفهوم الأمن الفكري: دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، وهي دراسة تسعى إلى تأصيل مفاهيم الأمن الفكري من منظورٍ إسلاميّ، مع بيان آثاره على الفرد والمجتمع.
- دراسة الفريح (Al-Furayḥ, 2016) حماية الفكر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية' تتناول ما يجب الالتزام به أو اجتنابه لحماية الفكر، مع بيان آثار ذلك على الفرد والمجتمع، وكيفية الوصول للحصانة الفكرية.
- دراسة السديس (Al-Sudays, 2016) الأمن الفكري وأثر الشريعة الإسلامية في تعزيزه، وفيها يعرض المؤلّف ضوابط الأمن الفكري ووسائله، ويبيّن دور الشريعة الإسلاميّة في تعزيزه عمليًا.

كما توجد بعض الكتب والمؤلفات ذات الصلة بموضوع البحث، مثل:

- دراسة صايل (Ṣāʾil, 2024) الاتجاهات المنحرفة في التفسير وأثرها على الأمن الفكري، والتي تعرض الاتجاهات المنحرفة في التفسير لدى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية كالشيعة والمعتزلة وغيرهم، وتبيّن الأسباب المحرّضة لهم على الانحراف التفسيري، وتفصّل في أثر هذه الانحرافات على الأمن الفكري.
- دراسة الفطيمان (Al-Fuṭaymān, 2024) الأمن الفكري في تفسير ابن عثيمين، وتهدف إلى بيان مفهوم الأمن الفكري وأسسه عند ابن عثيمين ومنهجيته رحمه الله في تحقيق ذلك في تفسيره.

**الفرق بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:**

إنّ الدراسات السابقة تتطرّق إلى موضوع الأمن الفكريّ وعلاقته بالشريعة الإسلاميّة عمومًا، أمّا هذه الدراسة فهي تخصّ التفسير دون غيره من العلوم بالبحث والبيان. وفيما يخصّ الدراسات ذات الصلة بالموضوع، فإنّ دراسة الصايل (Ṣāʾil, 2024)تناولت التفاسير المنحرفة التي قد تسهم في تقويض الأمن الفكري، وبينت أثر هذه الانحرافات على الفكر الإسلامي، وهي تختلف تمامًا عن هذه الدراسة التي تركز على بناء الأمن الفكري من خلال التفاسير الصحيحة.

أما دراسة الفطيمان (Al-Fuṭaymān, 2024)، فإنها تتناول مفسرًا واحدًا، وتعنى ببيان الوسطية والدعوة والحوار في التفسير المحدد فقط، وهو مختلفٌ عن هذا البحث في طريقة عرض الموضوع، وتخصيص مفسر واحد فقط، وعدم الحديث عن الدور الشامل للتفسير في تحقيق الأمن الفكري.إضافةً إلى إنّ هذا البحث يتميز بالجدّة والأصالة من حيث ربطه بين التفسير والأمن الفكري، وإبراز دور المفسرين في ترسيخه، مع تقديم نماذج من مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين توضح إسهامهم في تحقيق هذا الهدف.

**أمّا خطة البحث فهي تشتمل على مبحثين في كل مبحث مطالب، وذلك كالآتي:**

**المبحث الأوّل:** التفسير والأمن الفكري.

**المطلب الأوّل:** تعريف التفسير، وأهميته.

**المطلب الثاني:** تعريف الأمن الفكري وأهميته.

**المطلب الثالث:** العلاقة بين التفسير وتحقيق الأمن الفكري.

**المبحث الثاني: دور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري:**

**المطلب الأول:** بيان المفسرين للعقيدة الصحيحة والدعوة إلى أعمال العقل وسلامته.

**المطلب الثاني:** الوسطية الفكرية عند المفسرين وتوعية الأجيال.

**المطلب الثالث:** حرص المفسرين على هويّة الأمّة الفكريّة وتحقيق وحدتها.

**المطلب الرابع:** تصحيح المفسرين للمفاهيم الفكرية المغلوطة ومحاربة الغلو.

الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج والتوصيات.

المراجع.

**المبحث الأوّل: التفسير والأمن الفكري.**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

**المطلب الأوّل: تعريف التفسير، وأهميته.**

**أولًا: التفسير لغة:** مأخوذٌ من فَسَرَ: أي بيّن، وفَسَرت الشيء إذا بيّنته ووضحته بعد خفائه، والتفسير: البيان والتفصيل للكتاب، ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان: 33] (Al-Farahidi, N.T., 7/247; Al-Jawharī, 1887, 2/781; Ibn Fāris, 1969, 4/504).

**ثانيًا: التفسير اصطلاحًا:** "هو توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة" (Al-Jurjānī, 1983, 63).

وفي البرهان هو: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه". (Al-Zarkashī, 1957, 1/13).

أمّا المفسّر فهو الشخص الذي يقوم ببيان معاني آيات القرآن الكريم وفق أسس وضوابط للتفسير. (Al-Zarkashī, 1957, 2/147; Al-Suyūṭī, 1974, 4/200)

ومن خلال ما سبق، يتضح أنّ التفسير علمٌ يعني ببيان معاني آيات القرآن الكريم، وكشف دلالاتها، واستنباط أحكامها وفوائدها، وبيان أسباب نزولها وسياقاتها وما يتعلّق بها، مما يمكّن القارئ من فهم كلام الله تعالى على الوجه الذي أراده سبحانه، والمفسر هو العالم الذي يضطلع ببيان هذه المعاني وفق أصول التفسير وضوابطه المقرّرة عند العلماء.

**ثالثًا: أهميّته:** التفسير من أشرف العلوم وأجلّها لاتصاله الوثيق بكتاب الله تعالى، الذي هو ينبوع الحكمة ومعدن كلّ الفضائل، وعجائبه لا تنقضي إلى يوم القيامة، والتمسك به يحقق الاعتصام والكمال الديني والدنيوي.

ثمّ إنّ البشر لديهم قصورٌ في إدراك الأحكام والحكم في القرآن الكريم بغير تعلّم وبيان، ممّا يجعلُ الحاجة ماسّة لفهم معاني الآيات وبيانها، ومعرفة مراد الله بقدر طاقة البشر، وتفسيره تدبرًا وتفكرًا وعملًا بما جاء فيه. كما أنّ نهضة الأمم وازدهار الحضارات لا يكون صحيحًا إلا بالاسترشاد بتعاليم القرآن وأحكامه التي تضمنّت وضمِنت السعادة في الدارين للمهتدين بها، وهذا لا يتحقق إلا بالكشف عن ألفاظ القرآن بتفسيره واستنباط الهدي والإرشاد منه، فالتفسير مفتاح الكنوز التي احتواها القرآن، وبه إصلاح البشر وإعزاز العالم بإذن الله.

(Al-Zurqānī, 1943, 2/7 , Al-Suyūṭī, 1974, 4/197)

واليوم في ظلّ المتغيرات المعاصرة والقضايا المستجدة، تبرز الحاجة الملحّة إلى تفسير القرآن الكريم تفسيرًا صحيحًا يحقق الفهم السليم لمعاني آيات الله تعالى، ويُسهم في تطبيق أحكامه والثبات على هديه ومنهجه القويم، وتتأكد هذه الحاجة بوجهٍ خاص مع انتشار بعض التفاسير المنحرفة وابتعاد فئةٍ من النّاس عن نور القرآن وهداياته، الأمر الذي يستوجب العودة إلى التفسير الموثوق المنضبط بالأصول العلمية حفاظًا على صفاء العقيدة وسلامة الفكر.

**المطلب الثاني: تعريف الأمن الفكري وأهميته.**

**أولًا: الأَمْن لغة:** التصديق وسكون القلب، وضده الخوف، والأمانة ضدّ الخيانة، ومنه قوله تعالى: (وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) [قريش: 4].(Al-Jawharī, 1887, 5/2071; Ibn Fāris, 1969, 1/133)

**ثانيًا: الأمن اصطلاحًا:** "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي".(Al-Jurjānī, 1983, 37)

ويستفاد من مجموع التعريفين أنّ الأمن يجمع بين البُعد النفسي المتمثل في سكون القلب واطمئنانه، والبُعد الواقعي المتعلّق بانتفاء أسباب الخوف والمكروه، مع توفر الضمانات التي تكفل استمرار السلامة مستقبلًا.

ومن ثمّ فإنّ مفهوم الأمن لا يقتصر على مجرّد غياب الخوف، بل يشمل أيضًا الشعور بالثقة والسكينة الناتجة عن الحماية والاستقرار في الحاضر والمستقبل.

**ثالثًا: الفكر لغة:** مأخوذٌ من الفِكر، وهو تردّد القلب في الشيء، وإعمال الخاطر فيه والتفكّر والتأمّل. (Ibn Fāris, 1969, 2/783; Ibn Manẓūr, 1993, 5/65)

**رابعًا: الفِكر اصطلاحًا:** "ترتيب أمور معلومة للتأدّي إلى المجهول"(Al-Jurjānī, 1983, 168) ، ومنه قوله تعالى: (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: 44].

ويظهر ممّا سبق أنّ الفِكر عمليّة عقليّة قلبيّة واعية، يُعمل فيها الإنسان نظره فيما حوله من القضايا والمعاني، بغرض الوصول إلى معارف جديدة أو إدراك أعمق للحقائق، فهو يجمع بين وظيفة العقل في التحليل والترتيب، ودور القلب في

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

التأمل والتدبر، مما يجعل الفكر وسيلة أساسية لفهم الحق من الباطل، والتمييز بين الصواب والخطأ، وتحقيق الإدراك السليم لكلّ شيء.

**ويُعرّف الأمن الفكري حديثًا كمصطلح مركّب بأنه منهجٌ** فكريٌ يهدف إلى سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه لجميع الأمور (Al-Zuʿbī, Al-Māḍī, ,Al-Hudhaylī 2010, 777; 2022, 32).

وهذا التعريف يُظهر شمولية الأمن الفكري، إذ لا يقتصر على مجرد حماية الفكر من الانحراف، بل يتعدّى ذلك ليكون منهجًا متكاملًا يعني بتقويم طرائق التفكير، وتنمية الفهم السليم القائم على الوسطية والاعتدال، كما يؤكد أنّ الأمن الفكري ليس حالة جامدة، بل هو عملية مستمرة تهدف إلى وقاية العقل من الغلو والتطرف، وحمايته من التأثيرات الفكرية المنحرفة التي قد تخرج الإنسان عن الفطرة السويّة أو المنهج الإسلامي الصحيح، ومن ثمّ يعدّ هذا التعريف جامعًا بين الجانب الوقائي: الحماية من الانحراف، والجانب البنائي: ترسيخ الفكر السليم وتعزيزه.

**خامسًا: أهميته: لا** لاشكّ أنّ الأمن بعمومه مهمٌ في حياة الإنسان، وأنّ هناك تلازم بين أنواع الأمن الديني والسياسي والفكري والاقتصادي والاجتماعي وغيرها، إلا أنّ الأمن الفكري يعدّ أساسًا لا غنى عنه لتحقيق غيره من أنواع الأمن؛ وذلك لأهميّته التي تتضح في كونه يهتمّ بسلامة العقائد والأفكار التي يعتمد عليها سلوك الإنسان وتصرّفاته، إذ ما يقوله ويفعله المرء إنّما هو نتاجٌ لأفكاره المتولّدة عن اعتقاداته.

كما أنّ الأمن الفكريّ يعين الأمّة على تطبيق شريعتها، وتوحيد منهجها، وتحقيق الغايات العظام التي خُلقت لأجلها، وبه تستمرّ الحضارات، وتزدهر المجتمعات، وتتحقق الحصانة المجتمعيّة من الانحرافات والإرهاب والأفكار الدخيلة الهدامة، وهو خير معينٍ للفرد على تحقيق التوازن النفسي، وتنمية الوعي العقلي، والانشغال بكلّ ما هو نافع، والبُعد عن الاضطراب والتناقض والانحراف.(Al-Sudays, 2016, 32; Al-Zuʿbī, Al-Māḍī, 2022, 34)

وتبرز أهميّة الأمن الفكري أيضًا من خلال أبعاده المتعددة التي تشمل البُعد التربوي، إذ يُسهم في بناء شخصية متوازنة فكريًا، وقادرة على التمييز بين الحق والباطل، ويعزز قيم الانتماء والاعتدال لدى الأجيال، كما يظهر في بُعده العلمي الذي يشجع على التفكير النقدي المنضبط بالضوابط الشرعية، ويحول دون الانخداع بالأفكار المنحرفة أو النظريات المضللة.

ويتجلّى كذلك في بُعده الثقافي من خلال ترسيخ الوعي الصحيح والحدّ من انتشار الشبهات والانحرافات الفكريّة، كما يمتد أثره إلى البُعد الاجتماعي الذي يعزز روح الانسجام والوحدة الوطنية ويحدّ من مظاهر التعصب والانقسام داخل المجتمع، والبُعد الحضاري الذي يجعل الأمم ذات الأمن الفكري الراسخ أكثر قدرة على الإبداع والإنتاج والتطوّر، ومن ثمّ فإنّ الإخلال بتطبيق الأمن الفكري يؤدي إلى الفرقة والانحراف، ويهدد ثبات القيم واستقرار المجتمعات، وبقاء هويّتها الحضارية.

**المطلب الثالث: العلاقة بين التفسير وتحقيق الأمن الفكري.**

يعدّ التفسير الرّكيزة الأولى لفهم العقيدة الصحيحة، واتباع المنهج السليم، وسلوك الطريق المستقيم، إذ هو الموصل إلى معرفة مراد الله من إنزال كتابه، وهو المعين على تطبيق كلّ ما جاء فيه، قال تعالى: (وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: 44].

ومن هنا تتجلّى العلاقة الوطيدة بين تفسير القرآن الكريم وتحقّق الأمن الفكري، فالتفسير بيانٌ يقود إلى التفكّر، فهو سببٌ رئيس لحصول الفكر الآمن لدى الأفراد والمجتمعات، فمن صحّ فهمه لآيات القرآن صحّ فكره ثمّ صحّ سلوكه وطريقه، يقول ابن القيّم-رحمه الله-: "قاعدة نافعة: أصل الخير والشر من قِبَلِ التفكر".(Ibn Al-Qayyim, 2019, 1/287) ولقد برزت الحاجة إلى تعزيز دور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري في زمنٍ كثرت فيه الشبهات والانحرافات الفكرية، وتأويل بعض المغرضين للنصوص القرآنية تأويلًا باطلًا لتحقيق أهدافهم التي لا تمتّ بصلة لهذا الدين العظيم.وهنا كان لزامًا على المفسرين الذين هم الدعاة لهذا الدين، وحماة هذا الكتاب العظيم، أن يعيدوا الناس إلى التفسير الصحيح والفكر القويم، ويبطلوا التفسير السقيم، ويردّوا النّاس إلى جادّة الحق والصّواب. ويمكن أن نلخص العلاقة بين التفسير والأمن الفكري في النقاط الآتية:

أولًا: إنّ حفظ العقل مقصدٌ شرعيّ، بعدّه مناطّ التكليف ومحلّ التفكير، والقرآن الكريم يخاطب العقول في مواضع كثيرة، ويحثّها على تتبع البواعث التي تحرّكها، فلا خير فيمن لا يعقل، ولا من يهمل عقله ولا يُعمله، يقول تعالى: (وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ) [العنكبوت:35]، ويقول تعالى: (أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان:44]، فجعل من لا يسمع ولا يُعمل عقله للوصول للحق وبلوغ الإيمان كالأنعام لا عقل لها، ومن هنا نعلم أنّ التفسير يسير بالعقل ويحرّكه في الطريق الصحيح، ومن لا يهتدي بالشرع إمّا أن يضلّ بعقله أو يصبح كالأنعام.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

ثانيًا: إنّ القرآن الكريم يدعو إلى التفكير الآمن، ويمدح المتفكرين، يقول تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) [آل عمران:191]، ويقول تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثية:13]، قال السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية: "يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله، وينتقلون من شيءٍ إلى شيء" (Al-Saʿdī, 2000, 936)

ثالثًا: التفسير يدعو إلى الاعتصام بحبل الله والتأصيل الفكري على الحق، وبناء وعيٍ فكري صحيح لدى المجتمع، والاعتصام بما أنزل الله يمنع الإنسان من الوقوع في الضلالة، ويحميه من الأفكار المهلكة، قال ابن القيّم -رحمه الله- في قوله تعالى: (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ) [آل عمران:103]: "ومدار السعادة الدنيويَّة والأخرويَّة على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلَّا لمن استمسك بهاتين العصمتين" ( Ibn Al-Qayyim, 1996. 1/458).فالتمسك بالقرآن والعمل بمعانيه سببٌ لبلوغ الفكر الصحيح.

رابعًا: إنّ التفسير تدبرٌ وتفكرٌ وتفكيرٌ في معاني الآيات، والنبيّ -صلى الله عليه وسلّم- أوّل مفسرٍ توقّف عند آيات القرآن وأمر بالتفكّر فيها، فقد جاء عن أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها أنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: (إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [آل عمران:190] الآيَةَ كُلَّهَا»، أخرجه في صحيحه،(Ibn Ḥibbān, 2012, N:7297)، وحسّنه (Al-Albānī, 2003,N:619)

خامسًا: إنّ التفسير يسبب حصانة فكرية وسياجًا يحمي العقول ويحصنها من الوقوع في الباطل بصوره وأنواعه كافّة، فالمفسّر جنديٌ في ميدان الأفكار والعقول، يسير بها إلى برّ الأمان، ويعينها على تحقيق السعادة والاستقرار الفكريّ، لأنّ التفسير أشرف العلوم وأجلّها، لتعلّقه بكتاب الله مصدر الهدى، ومنبع الحكمة، والقائد للاعتصام بالعروة الوثقى، والمحقق للكمال الديني والدنيوي. (Al-Suyūṭī, 1974, 4/199)

سادسًا: يعالج التفسير الاعتقادات التي هي منبع السلوك والمؤثر الأوّل فيها، فالأفكار تنبع من ثقافات وقناعات الإنسان، فلو كان التفسير الصحيح للآيات هو منبع هذه الأفكار ومصدرها الديني لاستقام النّاس، قال ابن القيّم -رحمه الله-: "الفكر عملُ القلب، والعبادة عملُ الجوارح، والقلبُ أشرفُ من الجوارح؛ فكان عملُه أشرفَ من عمل الجوارح، وأيضًا؛ فالتفكُّرُ يُوقِعُ صاحبَه من الإيمان على ما لا يُوقِعُه عليه العملُ المجرَّد." (Ibn Al-Qayyim, 2005, 1/180)

سابعًا: إنّ التفسير يتناول واقع النّاس الفكري في كلّ زمان ومكان، فيواكب بذلك التحديات الفكرية المعاصرة، من حيث كونه يظل منهجًا قائمًا إلى قيام الساعة، وهذا واقعٌ مشاهدٌ، فالقرآن هو الكتاب المُعجز الذي نزل هداية للنّاس، وتفسيره ينشر الهداية والنور، ويحقق الإعجاز في كلّ العصور .(Al-Zurqānī, 1943, 2/97)

ثامنًا: يصحح التفسير الفهم الخاطئ لنصوص الشرع، ويردّ على أهل الباطل شبهاتهم الفكرية، ويمنعهم من تحريف معاني الآيات بما يتوافق مع مذاهبهم الفكرية، أو الانجراف خلف الجماعات والأفكار الدخيلة باسم نصرة الدين، قال السيوطي -رحمه الله-: "وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض" (Al-Suyūṭī, 1974, 4/212)، وقال في موضع آخر: "وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير" (Al-Suyūṭī, 1974, 4/223)، فالتفكير المنحرف لا يسمى تفسيرًا للقرآن.

تاسعًا: يعزز التفسير من الولاء الفكري والانتماء للحق الذي يدعو إليه القرآن الكريم وربط الوعي الفكري بالوحي، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ) [الأنعام:82]، فتحصيل الأمن بجميع أنواعه لا يتحقق إلا بما أنزل الله، قال الزرقاني -رحمه الله-: "نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم خالقه الحكيم، وبدهيٌ أنّ العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن، وهو ما نسميه بالتفسير...فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس، وإعزاز العالم، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر" .(Al-Zurqānī, 1943, 2/6)

عاشرًا: البشر بطبعهم يحتاجون إلى مرجعيّة فكريّة يطمئنّون لها، ويعتمدون عليها، ويحتكمون إليها، وتعينهم على استقامة التفكير، والبعد عن الانحراف، ولن يتحقق لهم ذلك إلا بفهم آيات القرآن وتطبيقها، وعدّها منهجًا للحياة، إذ القرآن هو المصدر والمنهج والأمان للنّاس كافّة.

وممّا سبق تتضح الرابطة الوثيقة والعلاقة المتينة بين التفسير والأمن الفكري، وأنّ التفسير يعدّ ركيزة أساسية في تحقيق الأمن الفكري وترسيخه لدى الفرد والمجتمع.

**المبحث الثاني: دور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري:**

لقد بذل المفسرون في كتبهم جهودًا جبّارة في تعزيز الأمن الفكريّ في عقول النّاس، وهذه الجهود تحتاج إلى إبرازها والعناية بإخراجها بصورة واضحةٍ جليّة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

**وأودّ أن أنبّه هنا على أمور:**

أولًا: تفاوت كتب التفسير في الحديث أو التفصيل عن الأمن الفكري، بسبب عوامل مختلفة، قد تعود إلى الاكتفاء بالمأثور أو الرأي الجائز في تفسير الآيات، أو تعود إلى منهج المفسّر في التفسير التحليلي أو الموضوعي، أو المقاصدي، أو الإشاري، أو نوعه من حيث التخصص اللغوي أو الفقهي أو العلمي أو الاجتماعي وغير ذلك، أو ترجع إلى حرص المفسر على استنباط الهدايات القرآنية وربطها بالواقع، واختلاف حاجة النّاس عبر العصور للتوسّع في الحديث عن موضوع دون آخر، مع الأخذ في الاعتبار أنّ الحديث عن التفكير والعقل موجودٌ في القرآن منذ نزوله، وأنّ الحديث عن أصول الأمن الفكريّ واضحة البيان عند المفسرين المتقدمين، والتعبير عنها كان بمصطلحات مختلفة عن المصطلحات الحديثة، كالتعبير بالمعتقد، والتفكير السليم، والسلامة من الشبهات والشهوات وغير ذلك.
أمّا كتب التفسير المتأخرة فهي تحوي أكثر من الكتب المتقدّمة في هذا الموضوع بعض الشيء؛ نظرًا لوجود عوامل وظهور مستجدات غير موجودة على الواقع قديمًا، حتى ظهرت مصطلحاتٌ تخصّ الفِكر ومتعلّقاته؛ مثل الأمن الفكري، والغزو الفكري، والوعي الفكري، والانحراف الفكري، والفوضى الفكرية، والثقافة الفكرية، والمذاهب الفكرية، وغيرها، ولذا فإنّي سأقف في هذا البحث على نماذج من كتب مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين.
ثانيًا: إنّ الحديث عن الأمن الفكري في كتب التفسير لم يظهر بشكلٍ منفصل تحت عناوين رئيسيّة، لكنّه جاء ضمنيًا خلال التفسير والبيان لآيات القرآن الكريم، ولذا فهو يحتاج إلى بحثٍ وتنقيب، وترتيب ودراسة.
ثالثًا: عند الحديث هنا عن دور المفسرين في تحقيق الأمن الفكري في تفاسيرهم، فالمقصود بذلك التفاسير المعتدلة الصحيحة التي سارت وفق ضوابط وأصول التفسير الصحيح، لأنّ هناك بعض التفاسير المنحرفة التي يجب الحذر منها على العقائد والأفكار، وذلك لا يقتصر على الكتب فقط، بل يتعداه إلى المقاطع التفسيرية المنتشرة على الإنترنت والمواقع وغيرها.
رابعًا: إنّ استيفاء واستقصاء جميع أقوال المفسرين في هذا الباب لا يتيسر في هذا البحث البسيط، ولذا سأكتفي بعرض نماذج من بعض ما وقفت عليه في تفاسير القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين لتحقيق الأمن الفكريّ، وذلك من خلال النّقاط الآتية:

**المطلب الأوّل: بيان المفسرين للعقيدة الصحيحة والدعوة إلى أعمال العقل وسلامته.**

**أولا: بيان المفسرين للعقيدة الصحيحة.**

إنّ أوّل ما يعتني به المفسرون في كتبهم هو تثبيت العقائد الصحيحة في نفوس الناس، لأنّ تقرير التوحيد ونبذ الشرك هما من المقاصد الرئيسية للقرآن الكريم، فاهتمامهم بذلك واضح في تفاسيرهم. ثمّ إنّ تقرير العقائد أساسٌ تقوم عليه الأعمال، ويقوم عليه الفكر السليم للقارئ، ولهذا أدرك المفسرون أهميّة الحديث عن أنواع التوحيد، وأركان الإسلام، وأركان الإيمان، ومراتب الدين، وبيان منهج أهل السنّة والجماعة، فسعوا إلى تأصيل الإيمان من خلال تدبر معاني الآيات وربطها بحياة المسلم .وفي المقابل حذّروا من العقائد الفاسدة، التي ظهرت في تاريخ الفكر الإسلاميّ، كالتثليث، والتجسيم، والقول بخلق القرآن، وإنكار الغيبيات وغير ذلك، وقاموا بتفنيدها والرّدّ عليها وبيان ضلالها، لكشف الغشاوة عن عقول المسلمين.

ومن الدور البارز في هذا الباب ما ذكره صاحب مجالس التذكير من قوله: "فإنه إذا شفيت الصدور من عقائد السوء، ونزعات الشكوك، واعتقدت الحق، وارتبطت على اليقين، زكت النفوس واستقام سلوك الإنسان فرده وجماعاته، ورقي درجات الكمال" (Ibn Bādīs, 1995, 143).ويقول أيضا: "إن الذي نوجّه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر." (Ibn Bādīs, 1995, 150) .فهذه الأقوال تدل على أن صحة العقيدة وصفاء القلب من الشكوك،هو أساس لاستقامة الفكر والسلوك الفردي والجماعي، مما يعكس أهمية التأصيل العقيدي في حماية الفكر وبناء مجتمع متماسك قادر على مقاومة الانحرافات والأفكار الضارة.وينصح السعديّ-رحمه الله- العلماء بنشر العقائد الصحيحة المعينة على بلوغ الهداية، والتمييز بين الحق والباطل، ونشر العقائد الصحيحة، وتمييزها عن الفاسدة، حتى تتحقق الهداية وينتفي عن الناس الضلال.(Al-Saʿdī, 2000, 134)

كما اهتمّ المفسرون بتوضيح العقائد الفاسدة، وتحذير الناس منها، فعلى سبيل المثال، يوضح مؤلف زهرة التفاسير عند قوله تعالى: (وَما مِن إِلٰهٍ إِلّا إِلٰهٌ واحِدٌ) [المائدة: 73]، أنّ التأكيد على وحدانية الله يهدف إلى تصحيح المعتقدات الخاطئة مثل التثليث، ويهدف إلى ترسيخ الإيمان بوحدة الإلهية بشكل مطلق، مما يحمي الفكر من الانحراف ويقوي استقرار العقيدة لدى الأفراد والمجتمع .(Abū Zahrah, 2004, 5/2308)ويحذر صاحب التفسير الوسيط من التقليد الأعمى، واتباع الموروثات الضالة والعقائد الفاسدة، ويدعو الناس إلى النظر والتفكر والبحث عن الحق واتباعه ودعوة الآخرين إليه ( Zuḥaylī, 2001, 2/1012).

ويُبيّن صاحب أيسر التفاسير عند قوله تعالى: (وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا) [مريم: 88]، مقولاتِ أهلِ الشركِ والجهل، وكيف تصدّى لها القرآن الكريمُ بالرّدّ والإبطال، مظهرًا شناعتها وقبحها، ومؤكدًا أنَّ ذلك من فساد العقيدة الذي يُؤدّي بصاحبه إلى الهلاك

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

(Al-Jazāʾirī, 2003, 3/334).وبهذا يتضح أنّ المفسرين حملوا همّ التأصيل العقديّ الصحيح؛ لأنّه يقودُ صاحبه إلى السداد العملي والفكري، وينفي عنه خبث العقائد المضلّلة المؤدية إلى هلاك الفرد والمجتمع.

**ثانيا: الدعوة إلى اعمال العقل وسلامته.**

حثّ المفسرون النّاس على إعمال عقولهم بالتفكير والفهم الصحيح، وبيّنوا لهم مكانة العقل والتفكير في القرآن الكريم، ومخاطبته لعقول النّاس وقلوبهم، وربطوا بين الإيمان الصحيح والتفكير السليم، وفرّقوا في تفاسيرهم بين العقل المنضبط بالنصوص والعقل المتبع للهوى والمتجرّد من الوحي، وقرّروا أنّ لا تعارض بين العقل السليم والنّقل أبدًا، وأنّ الانفتاح العقليّ ينبغي أن يضبط بضوابط الشرع .كما أكدوا على أنّ سلامة التفكير ممّا يدعو إليه تفسير القرآن الكريم، وأنّ ذلك لا يتحقق إلا وفق انضباط الفِكر بما جاء به الشرع، والنّظر في الأدلّة والبراهين الشرعية والكونيّة، فلا سلامة للعقل والتفكير إلا بالوحي الذي يوفّر بيئة فكريّة آمنة.

ومن أمثلة ما قدّمه المفسرون في هذا الشأن ما أورده السعدي -رحمه الله- عند قوله تعالى: (وَلَكُم فِي القِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الأَلبابِ) [البقرة: 179] وفيه أن الله يحب من عباده أن يتأملوا في أحكامه ويعملوا عقولهم؛ ليتبيّنوا ما فيها من الحكم والمصالح الدالة على كمال عدله ورحمته (Al-Saʿdī, 2000, 84).كما يؤكد كتاب التفسير الواضح عند قوله تعالى: (قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهونَ) [الأنعام:98 ] أن التفكير العميق والنظر الدقيق في خلق الله هو ما يميز أصحاب العقول الواعية الذين يفهمون أسرار الآيات ويصلون إلى الفهم الصحيح للحقائق (Al-Ḥijāzī, 1992, 1/645).

ويذهب الطنطاوي إلى أن التفكر في آيات الكون ومظاهر الخلق وسيلة أساسية لترسيخ التفكير السليم واستعمال العقل فيما يقود إلى الحق والخير، استجابةً لأمر الله بالنظر والاعتبار (Ṭanṭāwī, 1998, 7/137).ومن جانبه، يوضح صاحب التفسير الوسيط أن الإسلام منح العقل مكانة رفيعة، وجعل التفكر والتدبر فريضة شرعية، لما لهما من دور في بلوغ الحق والهدى (Al-Zuḥaylī, 2001, 2/1012).

ويقول الخطيب-رحمه الله- مستحثًّا العقول على العمل، والبعد عن مفسدات التفكير: "إن الرسالة الإسلامية لتغري العقل إغراء على التفكير، بما تنادي به من دعوات عالية، إلى إيقاظ العقل، وبما تقدّم إليه من صور، وما تفتح له من مجالات، تدعو أكثر الناس بلادة وغباء إلى استخدام عقولهم، واستدعاء تفكيرهم... وإنه بحسب المرء أن يصحب معه عقله في هذه السياحة، فيهتدى إلى الحقّ... فإن العقل بطبيعته-إذا خلا من آفات العناد والاستكبار- ينشد الحق، ويهتدى إليه، لأنه شرارة من نور الحق، وقبس من أقباسه".(Al-Khaṭīb, 1970, 11/816)

وبذلك يتضح أن المفسرين قد اتفقوا على أن إعمال الفكر المنضبط هو طريق الهداية إلى الحق، وأنّ ضبط مجالات التفكير يمثل أحد أسس تحقيق الأمن الفكري في ضوء التفسير القرآني.كما نبّهوا إلى خطورة كل ما يفسد عقل الإنسان وتفكيره، سواء كان الفساد حسيًا بالمسكرات والمخدرات أو معنويًا بالشبهات والانحرافات العقدية، إذ يُعدّ حفظ العقل من المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في العذب النمير عند تفسير قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصابُ وَالأَزلامُ رِجسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجتَنِبوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ) [المائدة: 90]، إذ يوضح المفسر أن الله ميّز الإنسان بنور العقل، وأمره أن ينتفع به فيما خُلق له، وحرّم كل ما يؤدي إلى إفساده أو تعطيله، كالمسكرات والمخدرات وغيرها من المفسدات التي تُضعف الإدراك وتطمس البصيرة (Al-Shinqīṭī, 2019, 2/181 ).ويشير الشعراوي عند تفسيره لقوله تعالى: (وَقاتِلوهُم حَتّى لا تَكونَ فِتنَةٌ وَيَكونَ الدّينُ لِلَّهِ) [البقرة: 193]، إلى ضرورة السعي في إنقاذ الناس من براثن الديانات المنحرفة التي فُرضت عليهم بفعل الطغيان، أو نتيجة لفساد القول، والدعوة إلى مساعدتهم في العودة إلى دين الله الذي يدعو إلى إعمال العقول، والحفاظ عليها من كل ما يُفسدها (Al-Shaʿrāwī, 1997, 2/827).

ويقول صاحب أيسر التفاسير عند تفسير قوله تعالى: (وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّماءِ وَالأَرضِ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ) [البقرة: 164]: "الذي يجد هذه الأدلة ويراها ماثلة في الآيات المذكورة هو العاقل، أما من لا عقل له؛ لأنه عطل عقله فلم يستعمله في التفكير والفهم والإدراك، واستعمل بدل العقل الهوى فإنه أعمى لا يبصر شيئاً وأصم لا يسمع شيئاً، وأحمق لا يعقل شيئاً، والعياذ بالله تعالى" (Al-Jazāʾirī, 2003, 1/141).وفي هذا ذمٌ لتعطيل العقل، وعدّ ذلك من أسباب الضلال والانحراف الفكري؛ لأنّ في تعطيله إبطالًا لوظيفة التفكير التي ميّز الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وتعطيله يؤدي إلى اتباع الهوى والانقياد للأوهام، مما يُفقد الإنسان بصيرته ويجعله غير قادر على التمييز بين الهدى والضلال.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

ويؤكد ابن عثيمين – رحمه الله – على هذا المعنى حين يبيّن أن التفكر هو مفتاح العلم والهداية، لكنه يشدّد على ضرورة ضبطه بضوابط الشرع، محذرًا من التفكير في ذات الله أو كيفية صفاته، لأن ذلك من مجالات الغيب التي لا سبيل إلى إدراكها، وقد أوقع الخوض فيها كثيرًا من الناس في التعطيل أو التشبيه (Al-ʿUthaymīn, 2015, 115).ومن خلال هذه التوجيهات وغيرها يتضح أنّ المفسرين قد حرصوا على بناء منهج فكري متوازن يجمع بين إعمال العقل فيما أمر الله به، وصيانته عما يجرّه إلى الانحراف أو الضلال، تحقيقًا لمقصد الشريعة في حفظ العقل وصيانته من الفساد.

**المطلب الثاني: الوسطية الفكرية عند المفسرين وتوعية الأجيال.**

**أولا: الوسطية الفكرية عند المفسرين.**

دعا المفسرون في تفاسيرهم إلى ترسيخ المنهج الوسطي المعتدل في كلّ شيء، وتحقيق التوازن الفكري في شتّى مجالات الحياة، والارتكاز على القرآن والسنّة لبلوغ الفهم الصحيح، واستخدام الحكمة والحوار والدعوة الحسنة، والاعتدال التامّ في جميع شؤون الحياة.

وأبرزوا القيم الإسلاميّة التي تدعو إلى الرحمة والعدل والتسامح، والحوار الفعّال، والجدال بالتي هي أحسن، وجميعها مفاهيم تدعو إلى ثقافة الفكر الآمن الذي يسهم في بناء المجتمعات. كما حذّروا من الإفراط والتفريط، والتساهل والانحلال أو التشدّد والتنطّع، فلا خير إلا في التوازن الفكريّ الذي يضبط الفرد والمجتمع، ويجعل فكرهما سويًا مستقيمًا، قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143].

وقد جسّد المفسرون ذلك عمليًا في مؤلفاتهم من خلال توضيح معاني الآيات وبيان دلالاتها، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد في مجالس التذكير من حثّ الناس على لزوم سواء الطريق، دون ميلٍ إلى جنباته، لأن هذا هو الطريق القويم الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وهو سبيل الوسطية وبلوغ الحق. (Ibn Bādīs, 1995, 291). ومنه أيضًا ما جاء في زهرة التفاسير من الدعوة إلى الوسطية التي تمثل جوهر الخير، لأنها توازن بين طرفين كلاهما باطل، إذ يقول المفسر: "إنّ الوسط كان خيرًا، لأنّه متوسط بين طرفين كلاهما إثم أو باطل، إذ الوسط مجانبة للغلو والتقصير" (Abū Zahrah, 2004, 1/438).

كما بيّن المفسرون أن الوسطيّة في الإسلام شاملة للعقيدة والأعمال والأخلاق على مستوى الأفراد والجماعات، فهي تحفظ التوازن بين مصالح الفرد ومصالح الأمة، وتمنع من طغيان طرفٍ على آخر.جاء في التفسير الواضح قوله: "فالأمة الإسلامية وسط في عقائدها العامة، تحافظ على المادة والروح، وتنمي هذا وذاك، وهي وسط في معاملتها للفرد وللجماعة، فلا تجعل الفرد يطغى على الجماعة باستبداده ولا تلغى شخصية الفرد في الجماعة" .(Al-Ḥijāzī, 1992, 1/81)

وحذّر الخطيب في تفسيره من مفسدات الوسطية الفكرية، وبيّن أن انحراف الفكر لا يكون فقط بتأثير الآخرين، وإنما قد يكون نابعًا من داخل النفس حين يتبع الإنسان هواه دون مراجعة أو تقويم، مبينًا أن المسؤولية في هذا الباب فردية لا يعفي منها أي مؤثر خارجي؛ إذ إن الإنسان مسؤول عن فكره واختياره، ولا يُقبل منه أن يُلقي باللوم على المضللين ما دام قد ترك لعقله العنان بلا ضوابط تهديه إلى الصواب (Al-Khaṭīb, 1970, 1/187).

وأشار الشعراوي في تفسيره إلى أن من أبرز صور الانحراف الفكري الوقوع في الإفراط أو التفريط في العقيدة، فقوم أنكروا وجود الله مطلقًا، وآخرون غلوا حتى جعلوا له شركاء، فجاء الإسلام ليقيم ميزان العدل والاعتدال في الإيمان، مؤكدًا أن الله واحد لا شريك له، وأن الواجب على المؤمن أن يقف موقف التوسط في فهم صفاته وتنزيهه عن مشابهة خلقه (Al-Shaʿrāwī, 1997, 13/8159).وفي السياق ذاته، رأى الزحيلي عند تفسير قوله تعالى: (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا) [الكهف: 56] أن الابتعاد عن الاعتدال يعدّ نوعًا من الظلم الفكري الذي يخالف روح الإسلام القائمة على العدل والتوازن، موضحًا أن الجدل بالباطل والسخرية من آيات الله من أبرز صور الانحراف عن المنهج المستقيم (Al-Zuḥaylī, 2001, 2/1438).

كما وصف الإسلام بأنه دين شامل يجمع بين أمور الدنيا والآخرة، ويوازن بين حاجات الجسد ومتطلبات الروح، فلا يدعو إلى الرهبانية ولا إلى المادية المطلقة، بل يرسخ مبدأ الاعتدال الذي يحفظ للإنسان توازنه في الفكر والسلوك (Al-Zuḥaylī, 2001, 1/178).وهكذا، يتضح أن المفسرين قد تناولوا مفهوم الوسطية بعدّها صمام الأمان للفكر الإسلامي ووسيلةً لحماية الإنسان من الانحرافات التي تنشأ إمّا من التشدد أو من الانحلال، مؤكدين أن الأمن الفكري لا يتحقق إلا من خلال التمسك بالمنهج الوسطي الذي يجمع بين الإيمان الراسخ والعقل المنضبط وبين الواقعية والروحانية في آنٍ واحد، وهذا هو النهج الذي دعا إليه القرآن الكريم وسار عليه المفسرون في بيان معاني آياته وهداياته.

**ثانيا: توعية الأجيال.**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

أدّى علماء التفسير دورًا محوريًا في ترسيخ الوعي الفكري لدى مختلف فئات المجتمع عبر العصور، إذ جاءت تفاسيرهم موجهةً إلى الصغير والكبير، والعالم والعامي، والمسلم وغير المسلم، مع تنوّعٍ في الأسلوب والخطاب بما يتناسب مع تفاوت العقول ومستويات الفهم، ليتمكّن الجميع من إدراك معاني القرآن الكريم وتطبيقها عمليًا، ويُعدّ تنوّع التفاسير وكثرتها خير شاهدٍ على هذا الدور الرائد. ثمّ إنّهم اعتمدوا على منهجية فكرية قائمة على ربط تفسير القرآن الكريم بالواقع الذي يعيشه الناس، وتبسيط فهم الآيات لأغلب فئات المجتمع، والحرص على معالجة القضايا المعاصرة من خلال تفاسيرهم، لأنّهم كانوا على يقينٍ بأنّ التفسير مدرسة جامعة للدين والدنيا، وأداة تعليمية تثقيفية تقويميّة للأجيال .فاهتمّوا بغرس القيم الفكرية والمبادئ الثابتة في عقولهم، وإرشادهم ونصحهم، وتحصينهم وتحذيرهم، وربطهم بهويتهم الإسلامية، وبناء تصورات فكرية في عقولهم عن الحياة كاملة، ومشاركتهم واقعهم، وتخليصه من المكدّرات والضلالات المؤثرة على اتجاهاتهم الفكرية، إذِ الشباب غالبًا ما يتأثرون بالأفكار الغربية والجديدة، وينجرفون وراء الفكر الفاسد إذا لم يجدوا فهمًا صحيحًا للدّين.

واليوم يشهد العالم عبر مواقع التواصل والتطبيقات والبرامج نزول المفسرين المعاصرين للميدان لتوعية فئات المجتمع فكريًا عبر الرّسائل والمنصّات، والبودكاست، ومقاطع الفيديو القصيرة وغيرها، وهذا يجعل التفسير يلامس واقع النّاس وحياتهم، ويربط بين الآيات المتلوّة والعمل القائم، ويسهّل الوصول إلى أفكار المتابعين ويجعله أكثر تأثيرًا عند الأجيال الجديدة.ومن الأمثلة على هذا الدور العظيم في كتب المفسرين؛ ما جاء من نصح المسلمين في العذب النمير من قوله: "فعلى كل مسلم ألا يغترّ بالشعارات الزائفة، والكلمات المضلة التي تحمل في وسطها الكفر والإلحاد، والتمرّد على الله من اسم الحضارة، واسم التمدُّن، واسم التقدم، فإن هذه شعارات هي في حقيقتها المقصودة عند أهلها الذين جاءوا بها تحمل الطعن في الدين، والإلحاد في آيات الله، والكفر بالله، وتحمل كل شر وطغيان فيها والعياذ بالله، فعلى شباب المسلمين ألّا يغتروا بها"(Al-Shinqīṭī,2019, 3/240)

ويوجّه ابن عاشور – رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى: (وَقالَ نوحٌ رَبِّ لا تَذَر عَلَى الأَرضِ مِنَ الكافِرينَ دَيّارًا) [نوح: 26]، نصيحةً بالغة الأهمية للمصلحين، إذ يبيّن أن رسالتهم لا تقتصر على إصلاح الجيل المعاصر فحسب، بل تمتد لتأسيس قواعد الإصلاح للأجيال القادمة، لأن العمل الإصلاحي في نظرهم شامل ومستمر، تتكامل فيه مسؤولية الحاضر مع مستقبل الأمة (Ibn ʿĀshūr, 1984, 29/214).

وفي الاتجاه ذاته، يلفت الخطيب في التفسير القرآني للقرآن النظر إلى أهمية تنمية العقول وتطوير الفكر الإنساني عبر الأجيال، موضحًا أن العلم والمعرفة تراكم إنساني يتوارثه الناس جيلاً بعد جيل، فتمضي الأجساد وتبقى آثار العقول وثمار الأفكار التي تسهم في تقدّم البشرية (Al-Khaṭīb, 1970, 16/1625).كما يعبّر الشعراوي عن قلقه من ظاهرة اتباع الهوى والتقليد الأعمى لدى الشباب، محذرًا من الانفلات من قيم الدين والأسرة، ومشيرًا إلى أن التمرد على التوجيه والضوابط الأخلاقية يمثل أحد مظاهر الانحراف الفكري والاجتماعي الذي يهدد تماسك المجتمع (Al-Shaʿrāwī, 1997, 16/10008)

وينصح العثيمين في تفسيره على تعلّم العلم الذي ينير العقول فيقول: " أنا أرى أنَّه يجب على شباب المسلمين اليوم أن يتسلحوا بسلاح العلم المبني على الأثر والنظر، لأن أولئك القوم يشبهون بما يدعون أنَّه عقل، ولا يكفي الآن أن نتعلم الأثر فقط، بل لابد من أثر ونظر".(Al-ʿUthaymīn,2003,102).

كما ينبّه – رحمه الله – إلى خطورة التأثر بأصحاب الأفكار المنحرفة، ويحذر من الاغترار بزعماء الضلال الذين يزيّنون باطلهم بأساليب الخداع والتلبيس، ويبيّن أن خطرهم لا يقتصر على أصحاب السلطة والنفوذ، بل يشمل أيضًا بعض الدعاة الذين يروّجون أفكارًا هدامة وأخلاقًا منحرفة تحت شعارات براقة، مما يستوجب من الناس اليقظة والبصيرة حتى لا يقعوا في شراك التضليل (Al-ʿUthaymīn, 2016, 308).

ومما سبق، يتضح أنّ علماء التفسير لعبوا دورًا جوهريًا في توعية الأجيال، وحماية الفكر من الانحراف، من خلال غرس قيم القرآن الكريم ومبادئه، ومن خلال ربط التفسير بالواقع، وكان لهم تأثير فعّال في توجيه الشباب نحو الفهم الصحيح للدين، ويظل حضور المفسرين المعاصرين عبر الوسائل الحديثة ضرورة ملحّة لضمان استمرارية هذا الدور في بناء أجيال واعية ومحصنة فكريًا.

**المطلب الثالث: حرص المفسرين على هويّة الأمّة الفكريّة وتحقيق وحدتها.**

اهتمّ المفسرون بتوحيد صفّ الأمّة الإسلامية بجميع الطرق والوسائل الممكنة، وفي جميع الجوانب التي تؤدي إلى الهدف المنشود، من وحدة الدين، ووحدة الكلمة، ووحدة الصف، ووحدة المنهج، دون أن يفرّقهم اختلاف البلدان أو الثقافات واللّغات. وجاء ذلك بالتأكيد على تميز المجتمع بهوية فكرية إسلامية، تدور حول الاعتصام بكتاب الله، والرجوع إلى القرآن والسنة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

في التشريع، والاتفاق على قواعد فكرية موحدة بين المفسرين قديمًا وحديثًا لتوحيد الاتجاه الفكري للعامة والخاصة، مع تبنّي الخطابات الموحدة فكريًا في القضايا الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي، ومواجهة الأحزاب والتفرق المذهبي الفكري، ورفض التفاسير السياسية أو الطائفية المغرضة، وتعزيز القيم الجامعة للأمة، وحفظ حقوق الإنسان المسلم وغير المسلم، وكل ذلك يعزز تماسك المجتمع، ويحميه من الصراعات الفكرية والطائفية.

وينبغي التنبيه هنا على أنّ المقصود بالوحدة الفكريّة ليس تطابق جميع الأفكار، لأنّ ذلك ممّا لا يتأتّى بين شخصين حتى يكون بين الأمم، ولكنّ المقصود اتفاقهم على المبادئ والثوابت، والأصول دون الفروع التي يكون الاختلاف فيها ضمن إطارٍ من الاحترام والضوابط الشرعيّة، ومواجهتهم للتحديات الفكريّة والقضايا العظيمة كجماعة واحدة تفكّر بعقل رجلٍ واحد.

وهذا يتضح أكثر بالأمثلة، وخاصةً عند تفسير الآيات التي تدعو إلى وحدة الصفّ، وتحذر من الفرقة والخلاف، كقوله تعالى: (وَأَطيعُوا اللَّهَ وَرَسولَهُ وَلا تَنازَعوا فَتَفشَلوا وَتَذهَبَ ريحُكُم وَاصبِروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرينَ) [الأنفال: 46]، وقوله تعالى: (وَالمُؤمِنونَ وَالمُؤمِناتُ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعض) [التوبة:71]، وقوله تعالى:(كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً) [البقرة: 213]، وغيرها من الآيات.يقول الخطيب -رحمه الله- مبينًا أثر الوحدة على النّاس: "تلك الوحدة التي تجمع الناس جميعًا، وتجعل منهم مجتمعًا واحدًا، وإن اختلفوا ألسنة، وتباينوا ألوانًا، وتناءوا ديارًا وأوطانًا".(Al-Khaṭīb, 1970, 9/950)

وفي زهرة التفاسير عند قوله تعالى: (وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعونَ إِلَى الخَيرِ) [آل عمران: 104] يقول المفسر: "وعلى ذلك يكون في الآية الكريمة طلبان: أحدهما موجه إلى الأمة كلها، وهو إعداد هذه الطائفة التي تقوم بالإرشاد العام والتوجيه الفكري والنفسي، وتزويدها بكل ما يمكنها من أداء مهمتها، والقيام بالواجب عليها على الوجه الأكمل، وثاني الواجبين هو واجب هذه الطائفة التي تكونت، والوجوب عليها أخص من الوجوب الأول".(Abū Zahrah, 2004, 3/1344) كما يحذر ابن عاشور –رحمه الله– من الفرقة والتحزب، مؤكّدًا أن التمسك بالدين الواحد يجب أن يجمع الأمة على المبادئ المشتركة، لأن الانقسام يؤدي إلى التفريق والتخاذل ويضعف الأمة أمام أعدائها، وهو ما يتعارض مع إرادة الله في توحيد صفوف المؤمنين، ولذلك ذيل به قوله: (أُمَّةً واحِدَةً) [المؤمنون: 52] (Ibn ʿĀshūr, 1984, 18/73).

ويؤكد الشعراوي –رحمه الله– على أهمية وحدة الأمة الإسلامية فكريًا وعقديًا، مبينًا أن الخضوع لإله واحد يربط الناس بقانون واحد ويحول دون تبعية أحد للآخر، كما يمنع أي شخص من فرض أفكاره على الآخرين، مما يحقق وحدة الأمة وتآلفها والتعاون بين أفراد المجتمع (Al-Shaʿrāwī, 1997, 6/3722).وينبّه في موضع آخر إلى خطورة الاختلاف بين صفوف المسلمين، موضحًا أن النزاعات الداخلية تضعف الأمة أمام التحديات الخارجية، وتقلل من القدرة على نشر رسالة الإسلام (Al-Shaʿrāwī, 1997, 16/10056).

ووافقه أبو زهرة –رحمه الله– في هذا التحذير، فيقول عن الفرقة والاختلاف: "هذا عذاب للأمم، يحلّ وحدتها، وينثر جمعها، وهو أشد أنواع العذاب، عندما يتفاقم، ويكون الهوى المتبع، والشح المطاع وإعجاب كل امرئٍ وكل جماعة بنفسها وطريقتها، يقول تعالى: (كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيهِم فَرِحونَ) [المؤمنون: 53]، فعندئذٍ تنفكّ العُرى، وتنحلّ الأواصر، ويقوم المنكر، ويذهب المعروف، ولا سماع لصوت الحق" (Abū Zahrah, 2004, 5/2537). كما يدعو الزحيلي أبناء الأمة إلى تعزيز التوافق والتعاون والتآخي والتقارب، والابتعاد عن موجبات الفرقة والنزاع، مؤكدًا أن وحدة مشاعرهم وتعاطفهم المتبادل تحفظ كرامتهم وعزتهم، وتحقق لهم مصالحهم المشتركة (Al-Zuḥaylī, 2001, 1/216).وبعد عرض هذه النماذج، يتضح أنّ المفسرين حثّوا الناس على الاجتماع حول المشتركات، وحذروا من التفرّق والاختلاف في العقائد والأفكار والمبادئ، لما قد يسببه ذلك من تشتت الأمة وتهديد استقرارها وهلاكها.

**المطلب الرابع: تصحيح المفسرين للمفاهيم الفكرية المغلوطة ومحاربة الغلو.**

**أولا: تصحيح المفسرين للمفاهيم الفكرية المغلوطة.**

شهدت الأمة الإسلامية تباينًا في الفكر الإنساني عبر الأجيال والعصور في كثيرٍ من القضايا والأمور التي تواجهها، وهنا يبرز دور المفسرين في الحفاظ على ما صحّ من الأفكار، ورفض ما فسد منها، وذلك يكون بعرضها على نصوص الوحي، وتوضيح المعاني الصحيحة للآيات، وبيان سياقها، ومقاصد الشريعة فيها، وتحليلها بعمق وموضوعية، واستنباط هداياتها، ومنع استخدامها في غير مواضعها الصحيحة.

وفي مقابل ذلك أيضًا تبرز الحاجة إلى تصدّي المفسرين لكلّ المفاهيم الخاطئة، والرّدّ على الفرق التي اكتفت بإعمال العقول المجردة عن النصوص، والتحذير من التأويل الباطل، وليّ أعناق النصوص لخدمة المذاهب الفكريّة المنحرفة، وكشف الستار عن كلّ ذلك وفق قواعد وأصول تفسيرية علميّة صحيحة في الرّدّ على الشبهات وتفنيدها، وهذا دورٌ عظيمٌ في مواجهة الغزو الفكري وحماية العقل من الانزلاق في تيه الفكر وتشتيته. كما يُناط بالمفسرين اليوم مسؤولية كبرى في التصدي

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

للتحديات الفكرية المعاصرة، خاصة في ظل انتشار التأويلات الانتقائية للآيات وتحريف معانيها، ويأتي في صميم هذه المهمة إبراز مرونة التفسير الصحيح وقدرته على استيعاب المستجدات الفكرية، مع الالتزام بضوابط الوحي ومبادئ التفسير السليم، بما يضمن تجديد الفكر الإسلامي دون الإخلال بأسس الدين.

وبالاطلاع على بعض كتب التفسير في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، تتجلى نماذج واضحة للتصدي للأفكار المنحرفة والتأويلات الباطلة التي ظهرت منذ بدايات الدعوة، إذ يبين القاسمي خطورة البدع بمختلف أنواعها، خصوصًا تلك المتعلقة بالتطرق إلى ذات الله وصفاته، محذرًا من اتباع الفرق التي تتجاوز حدود العلم الشرعي في كلامها عن الله، سواء كانوا من المشبهة أو المعطلة، ويبيّن أن هذه الفرق نشأت نتيجة التعامل مع ما لا يعلمونه، وأن اتباع منهج السلف في الإيمان بما ورد من غير تشبيه كان كافيًا لتجنب الوقوع في هذه البدع (Al-Qāsimī, 1998, 2/280).ويتحدث التفسير الوسيط عن المعارضين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم انقسموا إلى فريقين: مؤيدون ومؤمنون، وآخرون جاحدون متمسكون بشبهات واهية وأعذار واهنة لتبرير انحرافهم عبر تأويلات لا يمكن قبولها، وقد عُدّت هذه الأفكار عبرة لمنع الانحراف العقلي، وتذكيرًا بعواقب الأفكار الضالة التي تهوي بأصحابها إلى الهلاك (Al-Zuḥaylī, 2001, 2/1172).

ويشير كتاب التفسير الواضح إلى أن الغرور من أبرز العوامل التي تفسد الفكر، إذ يؤدي إلى عجز الإنسان عن التأمل العميق والتفكير السليم فيما وراء الحياة الدنيا، مما يمنعه من فهم الحقائق الكبرى المتعلقة بالموت وما بعده، ويحول دون إدراكه لمعاني الآخرة وتأثيرها على سلوكه وحياته اليومية (Al-Ḥijāzī, 1992, 3/418).ويحذر ابن عاشور عند قوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسولَهُ وَلا تَنازَعوا فَتَفشَلوا وَتَذهَبَ ريحُكُم وَاصبِروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرينَ) [الأنفال:46] من مخالفة أولي الأمر، لأن ذلك سببٌ في النزاع والاضطراب الذي أوقع الكثيرين في الهلاك، فيقول: "النهي عن التنازع أعمّ من الأمر بالطاعة لولاة الأمور: لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم، فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي، ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمرٌ مرتكز في الفطرة بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره" ( Ibn ʿĀshūr, 1984, 10/30).

ويوضح أبو زهرة -رحمه الله- خطورة فساد الفكر على مصير الإنسان، مستندًا في ذلك إلى قوله تعالى: (فَوَيلٌ لِلَّذينَ كَفَروا مِن مَشهَدِ يَومٍ عَظيمٍ) [مريم:37]، فهو يرى أن هذه الآية تبيّن كيف أن الكفر والجحود، عندما يقترنان بسيطرة الأوهام وفساد الفكر، يكون لهما أثر بالغ في إهلاك الفرد وتهديد استقراره الروحي، إذ يؤدي هذا الفساد إلى انحراف السلوك عن مساره الصحيح ويزيد من خطر الضلال المبين (Abū Zahrah, 2004, 9/4641).كما يدعو في تفسيره إلى تبني منهجية الحوار والمحاجة بالحق، وترك الاحتجاج بالضلال والأوهام، لما له من أثر سلبي على سلامة الفكر والقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، ويتضح ذلك جليًا عند تفسيره لقوله تعالى: (أَلَم تَرَ إِلَى الَّذي حاجَّ إِبراهيمَ في رَبِّهِ) [البقرة: 258]، إذ يشير إلى أن ما اعتقده هذا الشخص حجّة كان في الواقع نتيجة الفكر الفاسد، والتمادي في الأوهام، والتصورات الخاطئة التي أضلت عقله، مما جعله يقع في مسائل لا يقبلها عقل سليم، وهو نموذج عملي لتوضيح أثر فساد الفكر على انحراف المفاهيم والاعتقاد (Abū Zahrah, 2004, 2/659).وبهذا يتضح أنّ المفسرين أثناء بيانهم لمعاني الآيات القرآنية لا يقتصرون على توضيح المعاني اللغوية أو الشرعية فحسب، بل يعملون أيضًا على تصحيح العديد من المفاهيم المغلوطة التي قد يعتنقها الناس، سواء كانت هذه المفاهيم قديمة متوارثة أو حديثة ناشئة عن تأويلات خاطئة وأفكار فاسدة، ويساهم هذا الدور في ضمان استقامة الفكر، والحفاظ على سلامته عبر الزمن، بما يعزز القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، ويحصّن المجتمع من الانزلاق وراء المفاهيم الخاطئة.

**ثانيا: محاربة الغلو.**

مع اتساع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وتنوع المنصات الرقمية، وتيسير تداول الأفكار والثقافات المختلفة بين الناس، برزت تيارات فكرية منحرفة أسهمت في إحداث اضطراب فكري وانتشار بعض التجاوزات الفكرية بين الناس، والتي قد تتجلى أحيانًا في صورة الإفراط أو التفريط في الممارسات والتصورات الدينية. وفي مواجهة هذه الانحرافات الفكرية، تبرز أهمية دور المفسرين في التصدي لها، وحماية المسلمين من تأثيراتها السلبية، وإعادة ترسيخ العلاقة الصحيحة بين الفرد وكتاب الله تعالى. ويأتي ذلك من خلال الدعوة إلى العودة إلى الرّاسخين في العلم والاقتداء بمنهجهم، إذ يتميزون بقدرتهم على صيانة الفكر من كل انحراف، وضمان نقائه وسلامته، بما يحقق التوازن الفكري ويحفظ حياة الناس وسلوكهم من أي تشويش أو اضطراب ناتج عن الأفكار المنحرفة.

ثمّ إنّ المفسرين قاموا بنشر التفسير الصحيح، ووضع ضوابط منهجية لفهم القرآن الكريم، وتصحيح الانحرافات الفكرية التي قد تنشأ نتيجة سوء الفهم أو التفسير الخاطئ للآيات، فقد حذروا من جميع أشكال التجاوز في الدين، سواء كان ذلك على صورة الغلو والإفراط أو على صورة التقصير والتفريط، مؤكدين على ضرورة المحافظة على التوازن بين الالتزام بأحكام الدين وفهم مقاصد الشرع، ورفض كل ما قد يؤدي إلى الفوضى الفكرية أو التشويش على وعي المسلمين.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

كما عمل المفسرون على بناء اتجاهات فكرية مقاومة لكل أشكال الانحراف، من خلال الدعوة إلى الحوار العقلاني والنقد البنّاء، وتشجيع التفكير المستقل والمراجعة الدقيقة للأدلّة والحجج والبراهين الشرعية، مع نبذ التقليد الأعمى والتعصّب الفكري، ومحاربة الجهل، وكل أشكال العدوانية الفكرية، كما عملوا على كشف الشبهات والرد على كل من يسعى لتشويه الفهم الصحيح للنصوص أو التأثير سلبًا على توجهات الناس الفكرية.

ويظهر هذا الدور بوضوح في التفاسير المتأخرة والمعاصرة، حيث تركز جهود المفسرين على مواجهة الانحرافات الفكرية الناتجة عن الإفراط أو التفريط في الدين، والتي غالبًا ما يسوغها البعض بتفسير خاطئ للآيات القرآنية، بما يبرز الحاجة الدائمة إلى التوجيه الصحيح والمنهج الوسطي في التفسير، لضمان سلامة الفكر واستقامة وعي المجتمع الإسلامي تجاه الدين وقيمه ومبادئه.ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتاب التفسير الواضح، حيث يدعو المؤلف إلى التمسك بالدين وتفعيل الحوار في مواضع متعددة، ويشير إلى ذلك بقوله: "وهكذا الإسلام والقرآن من أربعة عشر قرنًا يُعالج؛ ولكن بحكمة لا إفراط ولا تفريط؛ لأنه تنزيلٌ من حكيم عليم" (Al-Ḥijāzī, 1992, 1/351).

ويشير العثيمين -رحمه الله- إلى حالة بعض الناس في الوسطية، مبينًا أن أصحاب الاعتدال والوسطية لا يسلمون من انتقادات كلا طرفي الغلو، سواء كان المتطرفون المبالغون الذين يتهمونهم بالتساهل والتواطؤ مع أهل الشر، أو المتشددون الذين يرون فيهم تعسفًا وتطرفًا، وقد تصل الاتهامات إلى وصفهم بالكفر أو الانحراف، مؤكّدًا أن مثل هذه الألقاب السلبية التي يلقب بها أعداء الله أولياءه لا تزال موجودة عبر العصور حتى يومنا هذا (Al-ʿUthaymīn, 2003, 172).كما يوضح العثيمين -رحمه الله-، عند تفسيره لسورة الشورى، أن الغلو في الدين يشكل أخطر صور الانحراف، إذ يؤدي الغالي إلى الاعتقاد بأن تصرفاته ومعتقداته تمثل الدين الصحيح بشكل مطلق، بينما يكون المقصر مدركًا لنقائصه، مما قد يتيح له فرصة العودة إلى الطريق الصحيح لاحقًا، وهو ما يبرز أهمية الاعتدال والتوازن في الممارسة الدينية والتعامل مع النصوص (Al-ʿUthaymīn, 2015, 130).

ويحذّر الزحيلي -رحمه الله- كثيرًا من الأفعال المنحرفة التي تضرّ بالمجتمع، ويؤكد أنّ الإسلام بريءٌ من مثل هذه التصرفات مستندًا في ذلك إلى قوله تعالى: (وَاتَّخَذوا آياتي وَما أُنذِروا هُزُوًا) [الكهف: 56]، موضحًا أنّ الله وصف الكفار المجادلين بالباطل بصفات موجبة للخزي والخذلان، تقوم على الظلم الفكري والانحراف في السلوك، ورغم ذلك فإن رحمة الله اقتضت ألا يعاجلهم بالعقوبة، ليُتيح لهم فرصة العودة عن العصيان وإعلان التوبة عن سوء الاعتقاد والأفعال، وهو ما يعكس منهج التوازن والاعتدال في الشريعة (Al-Zuḥaylī, 2001, 2/1438).وفي مواضع أخرى، يشير الزحيلي إلى أن الشريعة وضعت حدودًا واضحة لحماية المسلم من الانزلاق إلى السلوكيات المحرّمة، مؤكّدًا أنّ تجاوز هذه الحدود يؤدي إلى سقوط الإنسان في كل أنواع المعاصي، إذ إن الشخص الذي يتعدّى حدًّا شرعيًا قد يجد نفسه يسلك مسلكًا مفتوحًا أمام جميع المنكرات، ومن هنا جاء التشريع ليحصّن الفرد ويصونه من الوقوع في الإفراط أو التفريط، ويضمن له مسارًا مستقيمًا في حياته اليومية (Al-Zuḥaylī, 2001, 1/491) وتُعدّ ظاهرة تكفير بعض المسلمين بغير وجه حق من أبرز صور الانحراف الفكري المعاصر الناتج عن سوء فهم بعض الناس لآيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: 44].وقد نبّه القاسمي إلى خطورة هذا الفهم المنحرف، محذرًا من التسرّع في تكفير المسلمين ما داموا متمسكين بعقيدة التوحيد، موضحًا أن الكفر المقصود في النصوص إنما هو الجحود والتكذيب الصريح للدين، أما الموحدون الذين يؤمنون بالله ورسوله فلا يصحّ إدخالهم في هذا الوعيد، لأن التكفير حكم شرعي خطير لا يُطلق إلا بدليلٍ قاطعٍ (Al-Qāsimī, 1998, 3/169)

ويبيّن ابن عاشور في تفسيره أن مسألة تكفير من لا يحكم بما أنزل الله قد وقع فيها خلاف نشأ بسبب الفهم الخاطئ، فذهبت بعض الفرق – كمن كفّر مرتكب الكبيرة – إلى الأخذ بظاهر الآية، بعدّهم أن الجور في الحكم يُعدّ كفرًا، وهذا مذهب باطل كما يقرّر رحمه الله، أما جمهور المسلمين من الصحابة ومن تبعهم من أهل السنّة، فيرون أن الآية مجملة، لأن ترك الحكم بما أنزل الله تتنوع صوره وأسبابه، ولا يلزم من كل حالة الحكم بالكفر، بل يُبيَّن تفصيلها في ضوء الأدلة الكثيرة التي تدل على عدم تكفير المسلم بالذنوب، كما أوضح ابن عاشور أن سياق الآية يدل على أن المقصود بها بالدرجة الأولى هم اليهود الذين حرّفوا أحكام الله وجحدوا بها (Ibn ʿĀshūr, 1984, 6/211).ويحذر -رحمه الله- من فتنة التكفير فيقول: "والحاصل أن كل تفريق لا يكفر به بعض الفرق بعضًا ولا يُفضي إلى تقاتل وفتن، فهو تفريق نظر واستدلال وتطلب للحق بقدر الطاقة، وكل تفريق يفضي بأصحابه إلى تكفير بعضهم بعضًا ومقاتلة بعضهم بعضًا في أمر الدين فهو مما حذر الله منه، وأما ما كان بين المسلمين نزاعًا على الملك والدنيا فليس تفريقًا في الدين، ولكنه من الأحوال التي لا تسلم منها الجماعات" (Ibn ʿĀshūr, 1984, 8/194).والحقّ أنّ كتب التفسير مليئة بما يدعم هذا الجانب، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكنّ المقام يقصُر عنها، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

## الخاتمة:

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

1- يتّحد التفسير ومفهوم الأمن الفكريّ في تحقيق غاية واحدة، تتمثل في الهداية والسعادة الدينية والدنيوية للإنسانية جمعاء.
2- تقوم بين التفسير والأمن الفكري علاقة سببية متينة، فمن صحّ فهمه للوحي، صحّ فكره، ثم استقام سلوكه.
3- يُعدّ التفسير أساسًا في ترسيخ المنهج الفكريّ المعتدل، وتنمية الوعي الثقافي، بما يسهم في بناء الفكر السليم المتوازن ودعم النهضة الحضارية.
4- إنّ التفسير يسهم في معالجة صور الانحراف الفكريّ المتعددة، من خلال تفنيد الشبهات ودحض الأفكار الهدّامة المنحرفة عن منهج الحق.
5- يمتاز التفسير بقدرته على مواكبة التحديات الفكرية المعاصرة والمستقبلية، لكونه بيانًا للقرآن الكريم الذي أنزله الله صالحًا لكل زمان ومكان.
6- لا يتحقق الأمن الفكريّ إلا بوجود مرجعية شرعية راسخة تتمثل في علماء التفسير، نظرًا لارتباط علمهم بالوحي الإلهي، وعليه فإنّ الوعي الفكريّ لا يمكن أن يستقيم إلا في ضوء الهدي القرآني.
7- للمفسرين أثرٌ بارزٌ في بناء الوعي وحماية الفكر، عبر تصحيح المفاهيم وتنقية العقول من الانحراف، ومعالجة حاجات المجتمع الفكرية والثقافية والتربوية.
8- إنّ مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين أولوا اهتمامًا بالغًا بالقضايا الفكرية في تفاسيرهم، وسعوا من خلالها إلى ترسيخ الأمن الفكري لدى المجتمع، ومواجهة مظاهر الغزو الثقافي والفكري.

**وبناءً على ما سبق فإنّي أوصي بالآتي:**

1- تكثيف العناية بتفسير القرآن الكريم في المؤسسات التعليمية، مع التركيز على الجوانب الفكرية في المناهج بمختلف مراحلها.
2- تفعيل دور المفسرين في نشر الوعي الفكري عبر الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الحديثة.
3- تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تُبرز جهود المفسرين في تعزيز الأمن الفكري عبر الأبحاث ورسائل الدراسات العليا.
4- دعم مشاريع التفسير المعاصر بلغةٍ واضحة تخاطب احتياجات المجتمع الفكرية من خلال المنصات الرقمية.
5- مواجهة التفسيرات الخاطئة والمضللة المنتشرة في الوسائط الرقمية، وبيان أخطائها بمنهج علمي رصين.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

## References:

Al-Qur’ān al-Karīm.

Abū Zahrah, Muḥammad Aḥmad. (2004). Zahrat al-Tafāsīr (n.p.). Cairo: Dār al-Fikr al-‘Arabī.

Al-Albānī, Muḥammad Nūḥ. (2003). al-Taʿlīqāt al-Ḥisān ʿalā Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān (1st ed.). Jeddah: Dār Bāwazīr.

Al-Farahidi, al-Khalil ibn Ahmad. (n.t.). al-‘Ayn (1st ed.). Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Farīḥ, Aḥmad Muḥammad. (2016). Ḥimāyat al-Fikr fī al-Qurʾān al-Karīm: Dirāsah Mawḍūʿiyyah (1st ed.). Jeddah: Dār al-Ḥaḍārah li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Al-Fuṭaymān, Ḥasan Rashīd. (2024). al-Amn al-fikrī fī tafsīr Ibn ʿUthaymīn. Majallat Kulliyat al-Dirāsāt al-Islāmiyya wa-al-ʿArabiyya lil-Banāt, 2(9), Damanhūr.

al-Ḥijāzī, Muḥammad Maḥmūd. (1992). al-Tafsīr al-Wāḍiḥ (10th ed.). Beirut: Dār al-Jīl al-Jadīd.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

Al-Hudhailī, Mājid Muḥammad. (2011). Mafhūm al-amn al-fikrī: Dirāsa taʾṣīliyya fī ḍawʾ al-Islām (master's thesis). Imam Muḥammad ibn Saʿūd Islamic University, Riyadh).

Al-Jawharī, Ismāʿīl Ḥammād. (1987). al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah (4th ed.). Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.

Al-Jazāʾirī, Jābir Mūsá. (2003). Aysar al-Tafāsīr li-Kalām al-ʿAlī al-Kabīr (5th ed.). Al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabat al-ʿUlūm wa al-Ḥikam.

Al-Jurjānī, ʿAlī Muḥammad. (1983). al-Taʿrīfāt (1st ed.). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Khaṭīb, ʿAbd al-Karīm Yūnus. (1970). al-Tafsīr al-Qurʾānī li-l-Qurʾān (n.p.). Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl. (1998). Maḥāsin al-Taʾwīl (1st ed.). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān Nāṣir. (2000). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān (1st ed.). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.

al-Shaʿrāwī, Muḥammad Mutawallī. (1997). Tafsīr al-Shaʿrāwī (n.p.). Cairo: Maṭbaʿat Akhbār al-Yawm.

Al-Shinqīṭī, Muḥammad Muḥammad. (2019). al-ʿAdhb al-Namīr min Majālis al-Shinqīṭī fī al-Tafsīr (5th ed.). Riyadh: Dār ʿAṭāʾāt al-ʿIlm.

Al-Sudays, ʿAbd al-Raḥmān ʿAbd al-ʿAzīz. (2016). al-Amn al-Fikrī wa Athar al-Sharīʿah al-Islāmiyyah fī Taʿzīzih (1st ed.). Riyadh: Madār al-Waṭan lil-Nashr.

Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. (1974). al-Itqān fī ʿUlūm al-Qurʾān (n.p.). Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.

Al-ʿUthaymīn, Muḥammad Ṣāliḥ. (2003). Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm: Sūrat Yāsīn (n.p.). Riyadh: Dār al-Thurayyā li-l-Nashr.

Al-ʿUthaymīn, Muḥammad Ṣāliḥ. (2015). Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm: Sūrat al-Rūm (1st ed.). al-Qaṣīm: Muʾassasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-ʿUthaymīn al-Khayriyyah.

Al-ʿUthaymīn, Muḥammad Ṣāliḥ. (2015). Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm: Sūrat al-Shūrā (1st ed.). al-Qaṣīm: Muʾassasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-ʿUthaymīn al-Khayriyyah.

Al-ʿUthaymīn, Muḥammad Ṣāliḥ. (2016). Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm: Sūrat Ghāfir (1st ed.). al-Qaṣīm: Muʾassasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-ʿUthaymīn al-Khayriyyah.

Al-Zarkashī, Muḥammad ʿAbd Allāh. (1957). al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān (1st ed.). Cairo: Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

DOI: https://doi.org/10.61856/492f0w76

Al-Zuʿbī, Mukhlid Ibrāhīm, & al-Māḍī, Amīn Muḥammad. (2022). Dawr al-Amn al-Fikrī fī al-Wiqāyah min al-Taṭarruf: Dirāsah Naqdiyyah Taḥlīliyyah (Issue 34). Jordan: al-Majallah al-ʿArabiyyah lil-Nashr al-ʿIlmī.

Al-Zuḥaylī, Wahbah Muṣṭafá. (2001). al-Tafsīr al-Wasīṭ (1st ed.). Damascus: Dār al-Fikr.

Al-Zurqānī, Muḥammad ʿAbd al-ʿAẓīm. (1943). Manāhil al-ʿIrfān fī ʿUlūm al-Qurʾān (3rd ed.). Cairo: Maṭbaʿat ʿĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa Shurakāʾuh.

Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr. (1996). Madārij al-Sālikīn fī Manāzil al-Sāʾirīn (3rd ed.). Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. (2005). Miftah Dar al-Sa'adah wa-Manshur Wilayat al-'Ilm wa-al-Iradah (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr. (2019). al-Fawāʾid (4th ed.). Riyadh: Dār ʿAṭāʾāt al-ʿIlm.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). Taḥrīr al-Maʿná al-Sadīd wa Tanwīr al-ʿAql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd (1st ed.). Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah.

Ibn Bādīs, ʿAbd al-Ḥamīd Muḥammad. (1995). Fī Majālis al-Tadhkīr min Kalām al-Ḥakīm al-Khabīr (1st ed.). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Fāris, Aḥmad Fāris. (1972). Muʿjam Maqāyīs al-Lughah (2nd ed.). Cairo: Maṭbaʿat Muṣṭafá al-Ḥalabī wa Awlāduh.

Ibn Ḥibbān, Muḥammad ibn Ḥibbān. (2012). al-Musnad al-Ṣaḥīḥ ʿalā al-Taqāsīm wa al-Anwāʿ (1st ed.). Beirut: Dār Ibn Ḥazm.

Ibn Manẓūr, Muḥammad Mukarram. (1993). Lisān al-ʿArab (3rd ed.). Beirut: Dār Ṣādir.

Nūr, Aml Muḥammad. (2006). Mafhūm al-amn al-fikrī fī al-Islām wa-taṭbīqātuh al-tarbawiyya (master's thesis). Umm al-Qurā University, Mecca.

Ṣāʾil, ʿAlī Nāṣir. (2024). al-Ittijāhāt al-munḥarifa fī al-tafsīr wa-atharuhā ʿalā al-amn al-fikrī. Majallat Jāmiʿat al-Qurʾān al-Karīm wa-al-ʿUlūm al-Islāmiyya, 19(1), Yemen).

Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid. (1998). al-Tafsīr al-Wasīṭ li-l-Qurʾān al-Karīm (1st ed.). Cairo: Dār Nahḍat.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.